الفصل الثامن

القـراءة والتلخيـص

الكتاب أيا كان شكله وعلى مر التاريخ هو رسالة فكرية يرسلها المؤلف إلى مستقبل معين هو القارئ والذى ينتظر بلهفة هذه الرسالة لأن فيها فائدة محققة له، هذه الفائدة تتبلور حول اشباع حاجة فعليه لدى القارئ. ودوافع القراة لدى الانسان عديدة ومتنوعة ومن هنا تنوعت الرسائل الفكرية وتعددت لتشبع تلك الدوافع. ولو أننا أردنا أن نفصل دوافع القراءة لدى الانسان فى هذا العصر لوجدناها على النحو الآتى:

١ ـ تزجية وقت الفراغ.

٢ ـ اتقان حرفة ما وتطوير العمل.

٣ ـ الهروب من المشاكل والهموم الشخصية والعامة.

٤ ـ توسيع المدارك واكتساب الثقافة العامة.

٥ ـ تنمية الشخصية وتحقيق الذات واكتساب اعجاب الآخرين.

٦ ـ الفهم الأوسع والأعمق للانسانية والعالم المحيط.

٧ ـ معايشة الأحلام التى نعجز عن تحقيقها على أرض الواقع.

٨ ـ متعة القراءة فى حد ذاتها.

٩ ـ الاحتذاء والاسقاط.

١٠ ـ إعداد البحوث والتقارير.

ويمكن تصنيف هذه الدوافع كلها إلى نوعين: فالبعض يرغب فى أن يعرف والبعض يرغب فى أن يروح عن نفسه وكلاهما مظهران للرغبة فى شئ واحد هو أن نجد أنفسنا ونحقق ذاتيتنا.

أ ـ القراءة الوظيفية

ب ـ القراءة التثقيفية

ج ـ القراءة الترويحية.

ويمكن أن نتناول كل نوع بشئ من التفصيل حتى نختار ما يقرأ على هدى من هذه التفاصيل.

أولا : القراءة الوظيفية

ترتبط القراءة الوظيفية ببرنامج عملى معين ومحدد سلفاً وتختلف تبعا لوظيفة القارئ نفسه فقراءات الكبار تختلف عن قراءات الشباب الطلاب وعن قراءات الأطفال التلاميذ. وبين القراء الكبار تتفاوت حسب نوع العمل الذى يقوم به الشخص فقراءات المحامى الوظيفية تدور حتما حول القانون و القضايا التى يترافع فيها أمام المحاكم المختلفة، وقراءات الطبيب الوظيفية تعالج بالضرورة تخصص هذا الطبيب ألا وهو الطب والصحة والدواء، وقراءات المدرس لابد وأنها تدور حول المناهج والمقررات التى يقوم بتدريسها.. كل ذلك بهدف متابعة أحدث التطورات فى المجال الذى يعمل به الشخص وحتى لا يتخلف عن الركب وحتى يكون مفيداً نافعاً لمجتمعه وعملائه بل إن الموظف الذى يعمل فى دائرة حكومية معينة يجد نفسه فى كثير من الأحيان مضطراً إلى أن يقرأ قراءة وظيفية فى مجال العمل الذى يقوم به حتى يطور هذا العمل ويؤديه بطريقة أفضل بدلاً من الطريقة التقليدية التى وجده عليها. وهذا هو الطريق إلى التقدم والتطور.

عندما نترك القراءة الوظيفية لدى الكبار إلى القراءة لدى الصغار والشباب وهم الذين ما زالوا فى مقعد الدراسة أساساً. فالقراءة الوظيفية لدى الطفل تهدف إلى تنمية مهارات الطفل فى العمليات الآلية للقراءة مثل تمييز عدد كبير من الكلمات بمجرد النظر إليها وتمييز الكلمات غير المألوفه وتنمية العادات السليمة فى النظر إلى الكلمات وقد انتظمت فى سطور. كما تهدف القراءة الوظيفية فى هذه السن إلى تنمية قدرة الطفل على فهم المادة التى يقرؤها كما ترمى إلى اكسابهم ثروة من الألفاظ الغزيرة والصحيحة، والقدرة على استخلاص الفكرة الأساسية مما يقرأ وفهم الأسئلة ومتابعة الموضوع الذى يقرؤه. كما

تهدف القراءة الوظيفية فى هذه السن وما يليها من مراحل العمر إلى تنمية قدرة التلميذ والطالب على البحث فى الكتب بقصد استخراج معلومة أو معلومات معينة كاستعمال المعاجم والفهارس ودوائر المعارف وغيرها من المراجع التى عرضناها عرضاً وافيا فى فصل سابق. وهذه القراءات الوظيفية لا يقصد بها إطلاقاً قراءة الكتب المقررة وإنما هى امتداد وتوسيع لموضوعات الكتب المقررة تحقيقا لبعض مبادئ التربية الحديثة والتى تجعل من الكتاب المقرر مجرد خريطة تشير إلى المنهج وليس كل شئ فى المنهج. القراءات الوظيفية فى المقررات تؤكد على أن هناك عشرات بل مئات من الكتب الأخرى غير المقررة فى المنهج وعشرات من المراجع التى يمكن الرجوع إليها لتحصيل مادة علمية أغزر وأوفر ووجهات نظر مختلفة بل ومتضاربة مع وجهة نظر الكتاب المقرر وهذه هى الفلسفة الحقيقية للقراءات الوظيفية.

ثانيا : القراءة التثقيفية

يقصد بالقراءة التثقيفية تلك القراءة التى تهدف إلى متعة القراءة فى حد ذاتها من جهة وإلى توسيع مدارك التلميذ والطالب من جهة ثانية وجعل الطالب مواطنا عالميا إذا جاز لنا هذا التعبير. والطفل يبدأ هذا النوع من القراءة فى فترة مبكرة من حياته ربما فى سن الخامسة أو قبلها بقليل. والقراءة التثقيفية بقصد المتعة الذهنية هى نشاط تلقائى يقوم به الطفل فى أوقات فراغه، وهو لا يقرأ لمجرد الاستمتاع بالحياة بل أيضا ليكتشف هذه الحياة ويكتشف نفسه ويكتشف علاقاته بالعالم المحيط به، العالم الذى يعيش فيه وسيعيش فيه، هذا العالم واسع ممتد وهو صغير وواجبه لذلك أن يتفادى الغرق فيه ومن هنا كان لابد من أن يتعلم كيف يسير فيه تدريجيا وبمعنى آخر عليه أن يتعلم وأن ينمى معرفته عن طرق الملاحظة والاستيعاب والتفاعل مع الخبرات والأفكار ولنتذكر دائما أن الطفل يعيش حتما فى نطاق محدود على الرغم من سعته وامتداده ـ المنزل والمدرسة والملعب والحديقة والشوارع الواقعة فى هذا النطاق ـ وهو فى حاجة إلى أن يخرج عن هذه الحدود الضيقة من التجارب؛ والطريقة المثلى والوحيدة هى أن يقرأ عن الأشياء التى لا يمكن له أن يخبرها بالفعل إذ بالكتب والقراءة يمكنه توسيع أفقه طولاً وعرضا وعمقاً وحسب سنة وعمره كما سنرى فيما بعد.

تمر القراءة التثقيفية لدى التليمذ والطالب بعدد من المراحل العمرية يمكن تصويرها على النحو الآتى:

أ ـ فى السنوات من ٤ ـ ٦ والتى يسميها البعض بمرحلة ما قبل الدراسة يمكن تثقيف الطفل بنوع من الكتب يعرف بكتب الصور، وهى كتب يجد فيها الطفل صوراً مليئة بالحركة والحياة مع عدد محدود من الكلمات الملائمة التى تكون مع قلتها قصصاً صغيرة لا تزيد فى مجموعها عن أربعة سطور فى كل الكتاب، يحبها أطفال هذه السن. هذا النوع من الكتب يمد الطفل بتجربة بصرية للورق المطبوع ويفى بأغراض الاستماع الجيد حين يقرأ له بصوت مرتفع كما يمتع الطفل حين يقرؤه وحده فى السن الباكرة هذه. وأكثر من هذا يخلق ألفة بينه وبين الكتب منذ نعومة أظفاره يمكن أن تتوطد وتستمر بعد ذلك.

إن الصور فى كتب الصور ليست مجرد زخارف ولكنها وسيلة اتصال شأنها فى ذلك شأن الكلمة المطبوعة والمنطوقة. وحجم كتب الصور يختلف تبعا لنوع الصور فكتب القطارات قصيرة عريضة وربما تكون بعجل، وكتب ناطحات السحاب والروافع تكون طويلة وغير عريضة.

والطفل فى سن ما قبل المدرسة يعجب بصور الحيوانات الخرافية والأنوف الطويلة والتشكيلات الخلقية الغريبة الخارجة عن المألوف لأنها تجعلهم يضحكون من أعماقهم والضحك ثقافة فى حد ذاته.

ب ـ فى السنوات ٦ ـ ٩ أى ما يقابل الأولى ـ الثالثة الابتدائية يمكن تثقيف الطفل فى هذه المرحلة بنوع من الكتب يسمى «الكتب السهلة» وهى عبارة عن كتب متدرجة فى العلوم أو الصحة أو الدراسات الاجتماعية أو القصص وغيرها والفكرة الأساسية التى تتناسب فى هذه الكتب هى التمشى مع خبرات الطفل حتى تصبح القراءة عملية سهلة وتدور صفحاتها حول أفراد الأسرة الأقربين كالأب والأم والأخوه وما إلى ذلك. كما تتطرق إلى ما فى المنزل من حيوانات أليفة كالقطط والكلاب وإلى الأماكن التى يتردد عليها الأطفال كالحديقة والشارع. وتتدرج هذه الكتب من السنة الأولى إلى الثانية إلى

الثالثة فى الصعوبة، كما تتدرج فى موضوعاتها. والتدرج فى تقديم الكتب الجديدة إلى الطفل بحيث تكون قليلة العدد من جهة، كثيرة التكرار من جهة ثانية ومتصلة من جهة ثالثة. والصور فى الكتب السلهة يجب أن تكون فى منتهى الوضوح ولا تذكر شيئا غير موجود بالنص، كما لا يجب استعمالها بديلاً عن كلمات صعبة فى النص بل يجب أن تستخدم لتعريف تلك الكلمات الصعبة وشرحها.

إن الطفل فى هذه المرحلة يولع ولوعاً عظيماً بالقصص الخرافى الوجيز الذى يجرى على السنة الحيوانات والعفاريت وغيرها من المخلوقات الخرافية ويستمر هذا الاتجاه إلى سن التاسعة ثم يأخذ فى الهبوط تدريجياً.

ج ـ فى سنوات المرحلة الابتدائية كلها تقريباً لا تكون الاختلافات بين ميول الجنسين نحو موضوعات القراءة واضحة جداً، غير أن بعض هذه الاختلافات يتضح فى سن التاسعة والعاشرة فالأولاد يصبحون مغرمين بقصص المغامرات والحوادث المثيرة والعجائب والرحلات ميالين إلى قراءة قصص التاريخ وأحداثه وسير الأبطال وكثير منهم يقبلون على قراءة العلوم والمخترعات والآلات. أما البنات فتستمتعن فى هذه السن بالقصص التى تدور حول المنزل والأسرة وغالبا ما ينمو لديهن ميل نحو قراءة الكتب التى تركز على الثروة والملابس والخلافات المنزلية وهذه الأخيرة يجب أن ينظر إليها فى حذر تام.

د ـ فى الفترة بين الحادية عشر والرابعة عشر ينمو لدى البنات الميل إلى الروايات الغرامية وهن يشاركن الأولاد فى الميل إلى القراءة عن العجائب والمغامرات، غير أنهن يعزفن فى الغالب عن قراءة ما يتصل بالعلم والاختراعات، كما أن الأولاد يعزفون بدورهم عن قراءة الموضوعات التى يعدونها مما تميل إليه البنات بصفة خاصة. ولأن البنات فى هذه المرحلة يكن أكثر خيالا وعاطفة فإنهن يستمتعن بالشعر والدراما والقصص الوصفى. والبنات كالأولاد يبحثن عن الحياة ولكن بطريقة تختلف وهن فى حاجة إلى بعض ما نسيمه بكتب الصبيان، والأولاد لنفس السبب يحتاجون إلى ما نسميه بكتب البنات وهم جميعا فى بداية المراهقة محتاجون إلى كتب تعلمهم الحياة.

هـ ـ بعد الرابعة عشرة يبدى الأولاد ميلاً خاصا نحو كتب الألعاب والرياضة والهوايات وأوجه النشاط اليدوى. وتكون البنات أكثر اهتماما بأنفسهن وتربط البنت كل

معلومة فى الكتاب بنفسها وتكون حساسة لأى نقد عن ملابسها وشكلها العام وطريقة مشيها وتصرفها وحيث ترغب فى أن تكون جميلة ومحبوبة لدى أفراد أسرتها ومجتمعها فيجب أن تقدم لها الكتب التى تساعدها على ذلك وعلى اجتياز مرحلة المراهقة بسلام.

و ـ بعد ذلك يكون الحماس للقراءة فى تراجع، ومرد ذلك إلى بروز ميول وأنواع أخرى من النشاط أشد اتساعاً وإلى فراغ أقل لأن الطفل بعد المرحلة الاعدادية التى نميل إلى اعتبارها نهاية الطفولة إما أن يكون قد خرج من المدرسة ليعمل (فى حالات قليلة)، أو يكون قد دخل إلى مرحلة دراسية أعمق تستنفد وقته إلى حد كبير. وفى هذه المرحلة الثانوية تصبح أذواق القراءة لدى الأولاد والبنات ناضجة ومتميزة بحيث لا يمكن اعتبارهم سوى قراء بالغين. والموضوعات الآتية تنمو اهتمامات الأطفال بها مع نموهم العقلى والعمرى على التتابع: قصص الحيوانات ـ القصص الدينى ـ السير ـ المهن ـ قصص الأسرة ـ التاريخ ـ الجغرافيا ـ الهوايات ـ الأساطير والخرافات ـ دراسة الطبيعة ـ الروايات والمسرحيات ـ الشعر ـ السكك الحديدية والطائرات ـ القصص المدرسية ـ العلوم ـ الكشافون والمرشدات ـ الرياضة ـ الرحلة والمخاطرة.

ز ـ إن كتب الثقافة العامة التى يقرؤها الطلاب حتى نهاية الثانوية يجب أن تتوافر فيها ثلاث جوانب أساسية هى: المادة ـ الاخلاص ـ الصدق. والمقصود بالمادة أن يكون فى الكتاب فكرة وتجربة ومعلومة محددة وتصوير أى يكون لدى المؤلف شئ يريد أن يقوله للقارئ بحيث لا ينتهى الشاب من القراءة وينسى ما قرأه بعد إبعاد الكتاب. والمقصود بالاخلاص هو أن يحمل المؤلف ما يريد إلى قرائه الطلاب بالطريقة التى يشعر أنها حق وأن يأخذ عمله هذا على محمل الجد. وفيما يتعلق بالصدق يجب أن يكون هناك مستوى للصدق والحقيقة يعتد به وراء كتب هؤلاء القراء ليظهر العالم على حقيقته كما يبدو لجميع الناس الذين يعيشون فيه ويعملون به ويجب ألا نقدم لهم ما هو مختلق فى هيئة الصدق بشكل لا يمكنهم من معرفة أنه غير حقيقى لأن الخطر كل الخطر يكمن فى إعطاء مقاييس خادعة للواقع والصدق.

إن كتب ثقافة الأطفال والشباب يجب ألا تكون صادقة وحسب بل أيضا متمشية مع قواعد السلوك وآدابه ونحن نستيطع أن نبدأ بذلك فوراً فمن كتب الصور وما يليها يكتسب

الطفل والشباب بكلا الطريقتين المباشرة وغير المباشرة المعلومات الأساسية عن السلوك وذلك أثناء قراءته عما يفعل الناس أو يفكرون فيه وعما يحبونه وعما يقبلون ويرفضون وبذلك يرتقى بسلوكه هو.

وهناك أنواع من السلوك يجب ألا يتطبع بها الطفل والشاب، تلك التى يتأثر بها إذا قرأ الكتب غير الصالحة، كتلك التى تحبذ الاتجاه إلى العنف واليأس والقسوة والتعصب. إن ما يجب أن تغرسه الكتب فى نفوس الأطفال والشباب إنما هى صفات الشفقة وقوة التحمل وحب السلام وحب الناس والرغبة فى مساعدتهم وأن يكون إنشائيا لا هداما. ومن الهام جدا ألا يسخر الكتاب من العلاقات الانسانية السليمة وأن يعترف بحقوق الانسان والحيوان وأن يعرض القسوة فى صورتها الكئيبة والرحمة فى مظهرها الشفاف، والا يجعل من فشل الصالحين والمسنين والفقراء والمشوهين، أو هزيمة الخير موضوعا للسخرية ويجب أن تقوى الرابطة بين الوالدين والابن.

إن كتب الثقافة التى تقدم إلى الأطفال والشباب يجب أن تكون ذات طابع أدبى أو على الأقل ذات لغة سليمة، إذ أننا نهدف إلى تعريفهم بلغتهم كوسلية تبلغ أقصى حد من الكمال والتعبير فى نقل الأفكار وتعليمه أحسن الطرق للتعبير عما فى نفسه بواسطة الكلام والكتابة وليس المقصود باللغة السليمة استعراض المعلومات اللغوية وإنما يقصد أن تكون واضحة غير معقدة ومحددة يمكن فهمها ومضبوطة كلما أمكن ذلك، وخلاصة القول أنه يجب أن نتجنب الناحية الأدبية المتطرفة.

ولعل مسئولية تقديم كتب الثقافة العامة لأطفال وشباب مدارسنا هى مسئولية مشتركة بين المدرس وأمين المكتبة اللذين يجب أن يعملا معاً فى انسجام وتجانس للوصول بثقافة الطلاب إلى أعلى درجة من الكمال والاكتمال.

ثالثا: القراءة الترويحية والترفيهية

إذا كان الهدف من القراءة التثقيفية تعليم أطفال وشباب المدارس فن الحياة وتحقيق السلام الداخلى والانسجام مع المجتمع، فإن الهدف من القراءة الترويحية مساعدة هؤلاء

القراء على تمضية وقت الفراغ فى شئ مفيد وتنمية الهوايات الموجودة لديهم واستثارة المواهب الكامنة فيهم.

وتعتبر كتب القصص من أهم الكتب الترويحية وعصبها ولكى تؤدى الهدف منها لابد وأن يتوافر فيها عنصران هما التشويق والخيال. العنصر الأول يجعل القارئ يستعجل تقليب الصفحات ليعرف ما سوف يحدث؛ والثانى يجعل الطفل يعيش فى الكتاب ولا يرغب فى مفارقته.

وهناك تعسفيا نوعان من قصص المغامرات الأول تلك القصص التى تتعلق بتجربة القارئ فى المنزل والمدرسة والعطلة الصيفية؛ والثانى تلك القصص التى تخرج عن نطاق خبرة القارئ وتتعلق بمغامرات الجو والبحر والبر والبلاد الأخرى والجواسيس.

وقصص الحياة المنزلية تفيد إلى أبعد حد هؤلاء الأطفال تعيسى الحظ الذين لم تتكامل لهم الحياة فى المنزل كما يحدث فى حالة توظف الوالدين، والأولاد ممن لهم زوجات أب أو أزواج أم أو المطلقة أمهاتهم أو الذين يعيشون فى منازل بديلة. ويجب ألا يتبادر إلى الذهن أن هذه فئات شاذة فمن العسير أن نجد تلميذا أو طالبا ليست له مثل هذه المشاكل وبذلك يكون الكتاب الجيد السليم من هذا النوع هو العزاء أو البديل ويكون انعدامه خسارة لا تعوض.

وفى قصص المغامرات يجب الابتعاد عن القصص التى تبالغ فى الرعب والفزع كما ينبغى البعد عن الكتب التى تغرق فى الخيال.

وهناك نوعان آخران من القصص على درجة كبيرة من الأهمية للأطفال والشباب فى المدارس هما تلك التى تتعلق بالبلاد الأجنبية؛ وتلك التى تتعلق بالحوادث التاريخية. فالنوع الأول يعلم القارئ أن هناك شعوبا كثيرة فى هذا العالم تعيش تحت ظروف مختلفة وتتعاون مع بعضها ولها أنماط مختلفة من الثقافة والعادات والتقاليد؛ والنوع الثانى يوسع مدارك القارئ أفقيا ورأسياً فى الزمان والمكان.

وقصص الجريمة والقصص البوليسى التى يقرؤها البالغون بشراهة لا نستطيع أن نحرم التلاميذ والطلاب منها لأنهم يحبونها ومن ثم فلننتخب لهم منها الأحسن والتى تتوافر فيها الشروط الأفضل: مثلا أبطال القصة لابد وأن يكونوا واقعيين وأن تكون الفكرة معقولة، ويجب ألا تسخر القصة من القانون ولابد أن تكون النهاية صحيحة دون اعجاب بالمجرم أو عطف على اللص ويجب أن يكون الانتصار للخير على الشر.

إن كتب الهوايات وتنمية المواهب تغطى دائرة واسعة من المجالات مثل الرسم والتمثيل والصناعات الخشبية والمعدنية والموسيقى وقرض الشعر والكتابة الأدبية ولابد من توافرها بكثرة أمام التلاميذ والطلاب للانتقاء منها ما يناسب ميولهم ومواهبهم وهواياتهم مع المساعدة الضرورية واللازمة من جانب المدرسين وأمناء المكتبات على السواء لأن الموهبة كما سنرى من الصعب تعويضها إذا فقدت.

***

ولا نغالى إذا قلنا إن الشكل المادى فى الكتب الترويحية والترفيهية هو على قدر كبير من الأهمية بالذات فى كتب الأطفال. والشكل المادى لابد فيه من توافر ثلاثة جوانب رئيسية هى **الجاذبية والانقرائية والتحمل**. فمن ناحية الجاذبية يجب البعد تماماً عن الكتب الشاذة الغريبة الشكل أو الحجم أو اللون والكتب غير المألوفة فى زخرفتها أو حروفها. يجب أن يظهر الكتاب زاهيا خفيف الظل باعثاً على الثقة، والحجم المتوسط من الكتب المرغوبة جداً فلا يكون كبيراً ولا ثقيلاً ولا صغيراً ولا رفيعا جداً فالأطفال لا يحبون ذلك فهم يرغبون فيما يظهر وكأنه يحمل الشئ الكثير. والصور فى حد ذاتها تضيف إلى جاذبية الكتب فالأطفال يحبون التطلع إلى الصور والأهم من ذلك أنها تساعد على الفهم إذ تعين الطفل على تكوين صورة للنص المكتوب وهى تخبر عن أشياء لا يمكن أن تروى بالكلمات.

لقد أجريت بعض الدراسات على الشكل المادى الذى يفضله تلاميذ المدارس وطلابها وكانت نتيجة تلك الدراسات على النحو الآتى:

١ ـ أن حجم الكتاب الذى يفضله معظم الأطفال هو سبع بوصات ونصف طولاً فى خمس بوصات عرضا وفى بوصه واحدة سمكا (١٩×٧١/٢×٢١/٢ سم).

٢ ـ أن للون الغلاف تأثيراً كبيرا فى حب الأطفال للكتب وإقبالهم على قراءتها. واللون الزاهى عامل مهم فى هذا الصدد. وأحب الألوان إليهم هى الأزرق والأحمر والأصفر وكلما تقدموا فى السن مالوا إلى الألوان الباهتة الوقورة.

٣ ـ أن الصور العديدة تحبب الأطفال فى الكتب وأن الصور يجب أن تمثل ربع مساحة الكتاب على الأقل، ويفضل صغار الأطفال الصور الكبيرة التى تشغل الصفحة كلها كما أن الحركة والحيوية تحببان الصور إلى الأطفال.

٤ ـ يفضل الأطفال الصفحات ذات الهامش العريض.

٥ ـ حروف الطباعة يجب أن تكون واضحة ومتدرجة وفقاً للفرق الدراسية.

***

إن القراءات الثلاث السابقة هى قراءات التلاميذ والطلاب الأسوياء العاديين الذين تتألف منهم فصول الدراسة العادية. بيد أنه على الجانب الآخر يظهر بينهم طلاب غير عاديين طلاب تحت أو فوق العادة. يطلق عليهم اصطلاح: التلاميذ (المتخلفون) والتلاميذ (الموهوبون).

ونحن نطلق معنى التخلف (التأخر الدارسى) عادة على التلميذ الذى يكون عمره أكبر بكثير من السن المتوسط المناسب للتلميذ فى فرقة معينة من ناحية المستوى الدراسى، ولذا نحكم على تلميذ سنه يزيد على السن المقرر فى صف دراسى بأربع أو خمس سنوات بأنه متخلف دراسياً ـ والتلميذ الموهوب فى نظر رجال التربية هو الذى يتصف بالامتياز المستمر فى أى ميدان هام من ميادين الحياة ويتفوق دراسياً عن أقرانه فى صفه بعدة سنوات فالتلميذ الذى يعرف وهو فى الثامنة من عمره التواريخ التى ابرمت فيها معاهدات السلام على وجه التحديد، والصبى الذى يمكنه أن يناقش مغزى نظرية مالثوس

فى السكان وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره؛ والطفلة التى تستطيع وهى فى السابعة من عمرها أن تتعرف على معظم المقطوعات الموسيقية الشهيرة هؤلاء جميعا وأمثالهم نصفهم بأنهم موهوبون.

والتلميذ المتخلف وأيضا التلميذ الموهوب لا تفيده القراءات العادية الموجهة للتلميذ العادى إنهما يحتاجان إلى نوع آخر من القراءة يعرف باسم «القراءة العلاجية».

القراءة العادية بالنسبة للتلميذ المتخلف صعبة وليس غريباً أن كثيرا منهم لا يسيطرون على هذه العملية وبدون التقدم فى القراءة يصبح التقدم فى تعلم العلوم الأخرى بالمدرسة عملية مشكوكا فيها. وطالما أن مقدرة القراءة تتحسن بالقراءة نفسها فإن من الضرورى تقديم نوع من الكتب لهؤلاء التلاميذ تناسب قدراتهم وتشوقهم وتجذبهم وتكون فى مستوى نضجهم الفكرى والاجتماعى.

ومن العبث أن نبدأ القراءة العلاجية على مستوى المدارس الثانوية أو حتى الاعدادية بالنسبة لهذه الفئة من التلاميذ؛ فالأولاد والبنات الذين يبدو عليهم التخلف فى المراحل الابتدائية يجب أن يكتشفوا فى مرحلة مبكرة. ويعتبر المدرس مسئولاً مسئولية كاملة عن اكتشافهم لأن احتكاكه بهم يومى ومباشر، كما يعتبر أمين المكتبة مسئولا عن تهئية مواد قراءة سليمة وصالحة لهم.

وهنا يمكن أن نعطى قاعدة واحدة عامة وهى: بالنسبة للقارئ المتخلف يكون التركيز فى مواد القراءة على مواد قصيرة فى مجموعات سهلة لأن قدرة القارئ المتخلف على الانتباه والتركيز قدرة محدودة.

والتلميذ الموهوب فى الفصل العادى المتوسط معرض لكثير من المتاعب التى لا يواجهها التلاميذ العاديون؛ فالمدرسة يدور كل نشاطها حول تحقيق حاجات أطفالها العاديين الذى لا يرقون إلى مستواه الفعلى ولا يسيرون بسرعته فى التعليم. ومن الطبيعى أن يكون الفصل بالنسبة لهؤلاء الموهوبين مكانا مملاً لا يطاق إذا كانت الدروس التى يتلقونها يوما بعد يوم أقل من مستواهم. وبهذا قد يخنق الفصل حماس التلميذ الموهوب حين يركز اهتمامه فقط فى توصيل المعلومات إلى رؤوس الأطفال العاديين.

وطالما أن المدرسة لا تستطيع اختصار سنوات الدراسة بالنسبة لهؤلاء الموهوبين فإن فى استطاعتها توفير غذاء عقلى دسم دون نقل الموهوب من فرقته إلى فرقة أعلى؛ وذلك عن طريق.

أ ـ المشروعات والبحوث الخاصة.

ب ـ برامج القراءة الفردية.

ج ـ الحلقات الدراسية.

إن اكتشاف الموهوبين هى مسئولية مدرس الفصل؛ وتهيئة برامج القراءة العلاجية لهم هى واجب أمين المكتبة. هذه المسئولية المشتركة، هى مسئولية أساسية لهما وليست جانبية أو تفضلا، فنحن نبذل الجهد والمال فى سبيل استغلال مصادرنا وامكانياتنا المادية فلما لا نسعى جادين إلى تنمية وتشجيع أحسن ما فى الجنس البشرى من مصادر وامكانيات. إننا حين نفرط فى الموهوبين فإننا نضحى بقادة المستقبل كما نضحى بأكثر المصادر الاقتصادية حيوية وأهمية مع الفارق بأن المصادر الاقتصادية يمكن تعويضها. أما الموهبة والعبقرية فهيهات أن نعثر عليها بعد ضياعها. إنها مسئولية خطيرة يجب أن تقوم بها المدارس.

***

ولعله من نافلة القول أن نذكر بأن هناك طريقتين للقراءة: القراءة السطرية، أى أن يقرأ المرء النص كلمة بكلمة وسطراً بسطر وهى القراءة المتأنية الفاحصة، قراءة الاستيعاب. وهناك القراءة الاجمالية أو الكلية، والمرء هنا لا يقرأ الكلمات أو السطور وإنما يقرأ الأفكار فينظر فى الفقرة كلها ويستخلص الفكرة العامة فيها كما نقرأ الاعلانات والصور واللوحات. ومن المؤكد أن الانسان لا يسيطر على الطريقة الثانية فى القراءة إلا بعد فترة طويلة من التمرس بالقراءة السطرية والخبرة العميقة بعملية القراءة نفسها.

يستطيع العقل الانسانى أن يقرأ فى الثانية الواحد نحو خمسين معلومة ولكن لا يبقى فيه بعد القراءة مباشرة إلا ربع أو خمس هذا العدد، وفى الأحوال العادية لا يبقى فى

الذاكرة إلا أقل القليل من هذه المعلومات مع مرور الوقت ولكن حتى لو نسى الانسان معظم المعلومات التى قرأها فإنها حتما تؤثر فى عقله ووجدانه على نحو أو آخر.

أما فيما يتعلق بقراءة الاستذكار بالنسبة للطلاب فإنه لابد للطالب العادى أن يقرأ النص ثلاث مرات على الأقل قراءة سطرية، وهذه المرات يجب أن تكون متباعدة، ففى المرة الأولى يقرأ الطالب النص ولا يتذكر منه إلا الخطوط العامة فقط وينسى تفاصيله وفى المرة الثانية يتذكر الطالب بعض التفاصيل إلى جانب الإطار العام؛ وفى المرة الثالثة سوف يتذكر الطالب كل أو جل التفاصيل إلى جانب الخطوط العريضة للنص. لو حاول الطالب قراءة النص قراءة استذكار فى المرات الثلاثة تباعاً فى وقت واحد فإن النتيجة ستكون كما لو قرأ النص مرة واحدة ونؤكد أن قراءة النص لمرات ثلاث لابد وأن تكون متباعدة.

***

التلخيص

يرتبط بالقراءة بكل أنواعها موضوع التلخيص ورغم أنه قدرة ومهارة ذاتيه إلا أن التدريب عليه يمكّن من تحقيق نتائج طيبة فى سبيل السيطرة عليه. والتلخيص درجات، فالكتاب قد يلخص كله فى سطر واحد وقد يلخص فى ثلث حجمه أو ربع حجمه أو فى بضعة صفحات.

وهناك فرق بين التلخيص والاختصار. التلخيص يعمد إلى الأفكار الموجودة فى كل فصل فيستخلصها ويعبر عنها بكلمات أو عبارات من عنده. أما الاختصار فيستخدم كثيرا من عبارات وأساليب النص الأصلى. والاختصار يهدف أكثر ما يهدف إلى حذف الشواهد والأسانيد والتكرار والحواشى والابقاء على السياق العام للنص، بينما التلخيص يهدف إلى الإبقاء فقط على روح النص والخطوط العريضة فيه.

والتلخيص يثبت الأفكار الرئيسية بابرازها سواء على هوامش النص أو فى أوراق خارجة، وإثبات الأفكار الرئيسية فى الهوامش يحدث أكثر فى القراءات الوظيفية بينما يحدث

التلخيص أكثر فى أوراق خارجة فى القراءات التثقيفية والترويحية. وهذا التلخيص يقيد أفكار الكتاب فى ذهن المتلقى فترات أطول من القراءة العامة بدون تلخيص. ومن هنا تسعى مناهج التربية المكتبية إلى تصميم كراسات «ثمرة القراءة» التى يلخص فيها الطلاب قراءاتهم غير المقررة.

هذه الكراسات تتضمن فراغات للبيانات الببليوجرافيه عن الكتاب ثم تخصص بعدها بقية الصفحة للملخص وبحيث لا يزيد الملخص عن تلك الصفحة فى المراحل الثانوية والاعدادية بينما تخصص الصفحة الواحدة لكتابين على الأقل فى المراحل الابتدائية، لأن كتب المراحل الابتدائية عادة ما تكون أقصر والمعلومات فيها أقل وعدد الكتب أكثر.

وفى التلخيص لابد من قراءة الكتاب كله أولا ثم كتابة التلخيص وليس من الضرورى الالتزام بنفس ترتيب الأفكار فيه، بل يمكن إعادة ترتيب أفكار التلخيص بطريقة تناسب الوضع الجديد، وعند كتابة التلخيص بعد الانتهاء من القراءة يمكن العودة من حين لآخر إلى النص. ولن يتم التلخيص أبداً بطريقة سليمة ومثمرة إذا عمد القارئ إلى تلخيص صفحة بصفحة أو فصل بفصل، لأن التلخيص فى هذه الحالة سيأتى مفككا غير مترابط وربما تكون الفكرة التى يمكن أن يبدأ بها التلخيص موجودة فى نهاية الكتاب أو وسطه، بل وأكثر من هذا فإن بعض الكتب قد تقدم فى نهايتها ملخصا للنص يمكن الاستعانة به فى عمل الملخص المطلوب. كذلك فإن التلخيص أثناء القراءة لا يمكن من الرؤية الشاملة العامة الفوقية الطائرة لكل النص. لكل ذلك ننصح دائما بعدم التلخيص أثناء قراءة النص والتريث حتى الانتهاء من قراءة الكتاب.

قد يتطلب الأمر فى بداية تدرب القارئ على التلخيص قراءة النص الواحد مرتين أو أكثر ولكن بعد التمرين على تلخيص عدد من الكتب ستصبح المسألة عادة؛ وسيصبح التلخيص أمراً سهلاً عند قراءة النص مرة واحد. ومن المؤكد أنه بعد سنوات من التلخيص للعديد من الكتب فى موضوعات مختلفة سوف تتكون لدى المرء ملكة القراءة الاجمالية التى تمكنه من استخلاص الأفكار الرئيسية بعد قراءة النص كله فى وقت قصير.

***